

الحث على التقوى



«إِ سبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحِبُّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا نِدَاءَهُ فَأَجَابُوهُ وَعَمَلُوا مِنْ أَجْلِ مَرْضَاتِهِ وَاجْتَنَابَ سَخَطَهُ وَغَضَبَهُ، مَعَ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ بِأَنَّ كُلَّ مَا أَمَرَ تَعَالَى بِهِ وَنَهَى عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ أَنْفُسَهُمْ إِذْ أَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الْمَطِيعِينَ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ.

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ أَنْ تَحِبَّ إِلى طَاعَتِهِ حَتَّى تَوْفُقَ لِنَيْلِ رِضْوَانِهِ سُبْحَانَهُ وَلِتَكُونَ (مَعَ السَّادِّينَ أَرْزُعَ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ عَلَيْهِمُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء / 69).

و"بعبارة أخرى" لا يمكنك أن تنال محبة الله سبحانه وتعالى من دون أن تحصل على ملكة التقوى والتي تستطيع من خلالها أن تكون من الراغبين في الدنيا والفائزين في الآخرة، فقد روي عن رسول الله محمد (ص) أَنَّهُ قَالَ: "خَصْلَةٌ مَنْ لَزِمَهَا أَطَاعَتُهُ الدُّنْيَا وَرَبِحَ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: التَّقْوَى، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَغْزَى النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (الطلاق / 2-3).

وما أروع وأجمل كلام أمير المؤمنين (ع) عندما يوصي أصحابه بالتقوى فيقول لهم: "أوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته فإنَّها النجاة غداً والمنجاة أبداً".

فبالتقوى يا بُنَيَّ يَنْجُو الْإِنْسَانُ وَبِالتَّقْوَى يَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالتَّقْوَى تَقْطَعُ حُمَّةَ الْخَطَايَا، وَالتَّقْوَى هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة / 197).

فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَأْمُرِ النَّاسَ وَمَنْذُ خَلَقَهُمْ بِشَيْءٍ كَمَا أَمَرَهُمُ بِالتَّقْوَى لِأَنَّهَا بَابُ الرَّحْمَانِ وَمِفْتَاحُ الْجَنَانِ، فَانْظُرْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ عَنِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (ص) وَآلِهِ الْأَطْهَارِ، فَتَرَاهَا مَمْلُوءَةٌ بِالْحَثِّ الشَّدِيدِ عَلَى التَّقْوَى وَطَاعَةِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لِيَصْعَبُ يَا وَلَدِي أَنْ أَذْكَرَ لَكَ كُلَّ مَا وَرَدَ حَوْلَهَا وَلَكِنْ قَدْ زَيْتُ لَكَ هَذَا الْمَطْلَبَ بِبَاقٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ غَزِيرَةِ الْمَعَانِي وَالْمَفَاهِيمِ، فَقَدْ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) (النساء / 131)، وَقَالَ أَيْضًا: (يَا أَيُّهَا

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (الحج / 1).

وتأمل في كلام سيد البلغاء وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) عندما يحث على التقوى في إحدى خطبه فيقول:

"عباد! أوصيكم بتقوى الله فإنّها حقّ عليكم، والموجبةُ على الله حقّكم، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله، فإنّ التقوى في اليوم الحزّز والجُنْدَة، وفي غدٍ الطريقُ إلى الجنّة، مَسْلَكُهَا واضح وسالِكُهَا راجح، ومَسْتَوْدَعُهَا حافظ، لم تَبْرَحْ عارضةً نفسها على الأمم الماضية منكم والغابرين، لحاجتهم إليها غداً، إذا أعاد الله ما أبدى، وأخذ ما أعطى، وسأل عما أسدى، فما أقلّ مَنْ قبلها وحمَلَهَا حقّاً حملها! أولئك الأقلُّون عدداً، وهم أهلُ صفةِ الله سبحانه إذ يقول: (وَقَلَّيلٌ مِّنْ عِبَادِي الشَّكُّورُ) (سبأ/ 13)، فأهبطوا بأسماعكم إليها، وألِطُّوا بـجِدِّكُمْ عليها واعتاضوها من كلّ سلفٍ خِلافاً، ومن كلّ مخالفٍ موافقاً، أيقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم، وارحضوا بها ذنوبكم، وداووا بها الأسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن أضاعها ولا يعتبرن بكم من أطاعها، ألا فصونوها وتصوّنوا بها".

وانظر إلى إمامك ومقتداك جعفر الصادق (ع) حيث كتب لأحد أصحابه فقال له: "أما بعد، فإنني أوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ، فإنّ الله قد ضمن لمن اتقاه أن يُحوّلَ له عما يكره إلى ما يحب ويرزقه من حيث لا يحتسب، إنّ الله عزّ وجلّ لا يُخدع عن جنته ولا يُنال ما عنده إلا بطاعته".

واعلم أنّ مَنْ يتقي الله لا يهمله شيء من أمر الدنيا رُفِعَ نسيه أو وضع، حَسُنَ وجهه أو قَبِحَ، كثر ماله أو قل، يقول إمامنا الصادق (ع) على ما ذكره صاحب الشريعة: "اتق الله وكن حيث شئت ومن أي قوم شئت، فإنّهُ لا خلاف لأحد في التقوى، والمتقي محبوب عند كلّ فريق، وفيه جماع كلّ خير ورشد، وهو ميزان كلّ علم وحكمة، وأساس كلّ طاعة مقبولة، والتقوى ماء ينفجر من عين المعرفة بالله يحتاج إليه كلّ فن من العلم وهو لا يحتاج إلا إلى تصحيح المعرفة بالخمود تحت هيبة الله وسلطانه...".

ثمّ اعلم بأنّ الناس وكما يتفاوتون في هذه الدنيا من جهة المقامات والمناصب والوضع المادي حيث إنّ منهم الشريف ومنهم الوضيع ومنهم الرئيس ومنهم المروّس ومنهم الغني ومنهم الفقير ومنهم متوسط الحال، فكذلك المتقون يتفاضلون عند الله ويتفاوتون من حيث المرتبة والمنزلة. فقد ورد عن إمامنا الصادق (ع) أنّه قال: "إنّ التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى الله وترك الخلاف فضلاً عن الشبهة، وهو تقوى خاص الخاص، وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحرام، وهو تقوى الخاص، وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام، وهو تقوى العام، ومثل التقوى كماء يجري في نهر، ومثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر، من كلّ لون وجنس وكلّ شجرة منها يمتص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته، ثمّ منافع الخلق من تلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها، قال الله تعالى: (صِنُونَا أَنْ وَغَايَرُ صِنُونَا أَنْ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) (الرعد / 4).

واعلم أنّ التقوى "هي أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك".

وعليه فلا بدّ من أن تطيع الله سبحانه وتعالى دائماً وفي كلّ أوقاتك في ليلك ونهارك في قيامك وقعودك حتى تكون مصداقاً لقوله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (النساء / 13).

ولتكون من (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء / 69).